✸ سورة التكوير.

سورة التكوير مكيَّة، وهذا ظاهر من أسلوبها وموضوعاتها وقِصَر آياتها، ولم يختلف العلماء في ذلك.

هذه السورة ورد في فضيلتها حديث، وهو أن النبي ﷺ كما روى الترمذي قال: ﴿من أحب أن يرى يوم القيامة كأنها رأي عين فليقرأ "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ"، و"إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ"، و"إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ"﴾.

✸ موضوعات السورة:

في أول هذه السورة كان الحديث عن يوم القيامة، وعن أحواله وأهواله، وما يحدث فيه.

فلما كانت هذه أمور غيبية لا طاقة للبشر بمعرفتها، ولا سبيل لهم إلى علمها، بيَّن لهم مَن هو الذي جاء بها، وأنها قد جاءتكم على وجه حقيقي صادق لا لبس فيه ولا غموض ، وأن ما جاء لم يتعرَّض لأي نوع من أنواع الشك أو الخلل في الرواية.

ولذلك أول السورة في ذكر يوم القيامة، وآخرها في ذكر القرآن وسنده. يعني من أين جاءكم هذا القرآن؟

✸ تفسير سورة التكوير:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ :

إذا: تحتاج إلى جواب، وجوابها قد جاء بعد انتهاء "إذا" في اثني عشر موضعًا وهي من ﴿إذا الشمس كورت﴾ إلى ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾.وجوابها هو﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾

الشمس: بدأ الله عزوجل بالشمس لأنها من أجلِّ الآيات وأظهرها، وأعظمها أثرًا في حياة الناس، وعلى وجودها ينبني الليل وينبني النهار، متى طلعت جاء النهار، ومتى غابت جاء الليل.

يقول العلماء المعاصرون: إنها أكبر من الأرض بمليون مرة، وقد يزيدون على هذا ، وتبعد عن الكرة الأرضية مئة وخمسين مليون كيلوا متر.

كُوِّرَتْ: جاءت عند السلف بثلاث معاني.

❖ المعنى الأول: (كُوِّرَتْ): لُفَّت من تكوير العمامة أي لفُّها.

❖ المعنى الثاني: (كُوِّرَتْ) بمعنى: ذهب ضوءها ، اضمحلت وانطفأت.

❖ المعنى الثالث: ألقيت في النار.

هذه المعاني الثلاثة يمكن أن تكون مختلفة، ولكن الحقيقة هو أن أقوال السلف وإن بدت أحيانًا مختلفة؛ إلا أنك تجد أنها ليست متضاربة، نعم هي مختلفة، لأن معنى لُفَّت ليس بمعنى ذهب ضوؤها، وذهب ضوؤها ليس بمعنى ألقيت في النار.

➢ كيف نتعامل مع هذه الأقوال الثلاثة؟

نقول: إن الخلاف في التفسير أكثره ومعظمه هو اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضاد.

وهذه ثلاثة أقوال، ليست متضادة ، فكل واحد من السلف قد أشار إلى شيء من هذا المعنى الذي يحصل للشمس يوم القيامة. فهي أولًا تُلف، فإذا لفَّت ذهب ضوؤها ، ثم يأتي موضوع آخر قد يكون في الآية دليل عليه، وقد يكون مأخوذًا من شيء آخر، وهذا لابد أن نفهمه في تفسير السلف، فإنهم قد يفسرون الآية بمعنًى ليس من لفظ الآية؛ وإنما مما جاء في السنة أو جاء في آيات أخرى.

يقولون: ألقيت في النار لأن الشيء إذا كوِّر فتكوَّر تدحرج فتذهب إلى النار.

ولأنه ورد في السنة أن النبي ﷺ قال: ﴿الشمس والقمر ثوران مكوَّران في النار﴾.

﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾:

النجوم: بعد ما انتهى من الشمس انتقل إلى النجوم، لأنها من أجلِّ الآيات وأظهرها، فهي آيات عظيمة قد ملأت عنان السماء، يراها الناس، ويرون أفقها البعيد وكثرته ، هذه النجوم سيحدث لها شيء مهول ، و هوالانكدار أو الكدرة.

انكَدَرَتْ: اختلف السلف فيها على قولين.

❖ القول الأول: (انكَدَرَتْ) بمعنى: انطفأت.

❖ القول الثاني: (انكَدَرَتْ) بمعنى: تساقطت.

(انكَدَرَتْ): بمعنى تساقطت،وإذا تساقطت انطفأ ضوؤها، فكأن هذا من لازمها.

نجد أنهم اختلفوا في كلمة (انكَدَرَتْ) بناءً على التصريف، هل أصلها من الانكدار؟ أو من الكدرة؟

➢ إن كانت من الانكدار؛ فهي بمعنى السقوط.

➢ إن كانت من الكدرة؛ فهي بمعى الانطفاء والظلمة.

وهذا ما سيحصل للنجوم يوم القيامة، فإنها ستتساقط وينطفئ ضوؤها.

﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾:

يذكر الله عز وجل أشياء موجودة امام الناس جميعًا، في شرق الأرض، وفي غربها، وفي كل مكان، وهي أمور ظاهرة، الشمس، النجوم، الجبال.

وَإِذَا الْجِبَالُ: هذه الجبال الضخمة الراسية التي لا نستطيع أن نشقها إلا بشق الأنفس في يوم القيامة تسير.

بيَّنا في سورة عمَّ أن الله قال ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾وذلك أن الجبال في يوم القيامة تدك، وتصبح كثيبًا مهيلًا، ثم تكون بعد ذلك كالعهن المنفوش، ثم تسيَّر ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ، ثم تكون بعد ذلك كما قال -عز وجل- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾

➢ كيف نجد مرة وصف الجبال كذا، ووصف الجبال كذا في يوم القيامة؟

نقول: هذا ذكر لمراحل هذه الجبال يختلف باختلاف الآيات، وليس بين هذه المراحل تعارض.

﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾:

العشار: هي النوق التي بلغت الشهر العاشر فينتظر نتاجها. وذلك لأنها تعتبر في هذه اللحظة من انفس أموال العرب.

هذه العشار في ذلك الوقت، الراعي لبهيمة الأنعام عادة تجده يترقب ساعة ولادتها ؛ بل إنه أحيانًا يقدمها على أهل بيته من شدة محبته ورعايته لها.

في ذلك اليوم يذهل صاحب العشار عنها ولا يلتفت إليها من شدة الهول الذي يصيب الناس في ذلك اليوم.

وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ: لم يلتفت إليها أصحابها.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ :

الوحوش هي الحيوانات المتوحشة التي لا تأنس بالناس.

لأن الحيونات نوعان: مستانس، ومتوحش.

المستأنس: هو الذي يأنس بالناس ويعيش معهم، مثل الدجاج، ومثلًا البط، والغنم، والبقر، وغير ذلك.

المتوحش: هو الذي يفر من الناس ويستوحش منهم.

حُشِرَتْ : أي جمعت، فأنت تمشي يوم القيامة من شدة الهول، والأسد بجوارك، ما تلتفت إلى شيء من ذلك.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾:

هذا أيضًا مشهد من مشاهد يوم القيامة، وهو مشهد البحار.

هذه البحار التي أخذت من الكرة الأرضية أكثر من الثلثين، أخذت أكثر من سبعين بالمئة من مساحة الكرة الأرضية في يوم القيامة تسجر.

تسجر: اختلف السلف فيها على أقوال:

- القول الأول: (سُجِّرَتْ) بمعنى امتلأت.
- القول الثاني: (سُجِّرَتْ) بمعنى فاضت.
- القول الثالث: (سُجِّرَتْ) بمعنى احترقت والتهبت، واضطرمت نارًا.
- القول الرابع: (سُجِّرَتْ) بمعنى يبست.

وأقرب هذه المعاني إلى المعنى اللغوي الدقيق: (سُجِّرَت) بمعنى التهبت واضطرمت نارًا.

- ماذا سيحصل للبحار يوم القيامة؟

كل واحد من السلف أشار إلى شيء من المعنى، سواء من المدلول اللغوي، أو من الأحاديث الواردة فيما سيحصل للبحار يوم القيامة.

والذي يظهر -والله أعلم- من مجموع كلامهم أن البحار ستمتلئ، فإذا امتلأت فاضت والتقى بعضها مع بعض، ثم اضطرمت نارًا، ثم يبست.

هذا البحر العظيم الذي نراه أمامنا مليئًا بالماء سيحترق ، لأن الله يريد أن يبين لنا أن هذا الكون على هذا النظام سيتغيَّر تمامًا، وأن الذي سيغيِّره هو الذي أوجده أول مرة، وأنه قادر على كل شيء، وأن كل شيء بيده.

- مافرق بين الستة الآيات الأولى والستة التي بعدها؟

أشار أبي بن كعب -رضي الله تعالى عنه- أن هذه المشاهد منقسمة إلى قسمين:

- القسم الأول: قسم قبل فناء العالم ، وهو من قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ إلى ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾
- القسم الثاني : قسم بعد بعث العالم، وهي من قوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ إلى ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾

- من أين جاء أبي بن كعب بهذا؟

نقول: هذا شيء غيبي، إنما قال به لأنه تلقاه من رسول الله ﷺلأن الصحابة في العادة لا يتكلمون في الغيبيات إلا بما تلقوه من رسول الله ﷺ

ثم إن هذا هو الذي يظهر، لأن تسعير النار، وإزلاف الجنة، وتوزيع الصحف، هذا لا يكون إلا بعد البعث.

الذي يظهر -والله أعلم: أن أبيَّ بن كعب إنما تلقى ذلك من رسول الله ﷺ، فلمثل هذا حكم الرفع .

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾:

يعني إذا جمع الناس يوم القيامة ستزوَّج النفوس.

زوجت: جمعت

النفوس : اختلف المفسرون على قولين:

- القول الأول: أنها بمعنى الأرواح تعود إلى أجسادها فيحيا الناس بعد موتهم.
- القول الثاني: أنها بمعنى كل جماعة من الناس كانوا مجتمعين على مذهب أو دين يلتقون، كما قال الله تعالى ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا

كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾

وهذا هو الأصوب وهو: أن كل جماعة من الناس على دينٍ أو عقيدةٍ يلتقون مع بعضهم، أهل الإيمان، أهل النفاق، اليهود، النصارى، المجوس، البوذيون، كل ناس يلتفون مع جماعتهم.

﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾:

الموؤودة : هي البنت التي دُفنت وهي حيَّة.

وهذا كان يفعله بعض قبائل العرب، خلافًا لمن يقول: إن العرب كانوا يئدون بناتهم في الجاهلية. هذا غير صحيح.

وأد البنات كان لشيئين:

- منهم من يئد خشية الفقر.
- منهم مَن يئد خشية العار.

إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ: في هذا الموقف، الأولى أن يُسأل الوائد.

وإنما تُسأل الموؤودة لشيئن:

❖ أولا: لبيان هول ذلك اليوم، وأن كل أحد يُسأل، حتى الأنبياء ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾حتى الصادق يُسأل عن صدقه، فكيف بالكاذب؟!

❖ ثانيًا: لتبكيك ذلك الوائد، لأنه إذا عرف أن الموؤودة سُئلت؛ فهو سيعلم أنه سيتعرض لمسألة أشد.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾:

صحف الأعمال تُنشر ذلك اليوم﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ، فهي في ذلك اليوم تنشر، ويطلع كل إنسان على ما عمل من قليل أو كثير، من صغير أو كبير.فالمجرمون يقولون في ذلك اليوم ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾

﴿وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ﴾:

هذه السماء تكشط كما يكشط الجلد، يعني تُنزع وتُزال كما يزول الجلد، كما قال الله -عز وجل:﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾:

سُعِّرَتْ: أي وُقدَت وأُلهبت.

النار كانت مسعرة من قبل، لكن إذا أُريد ان تُقدَّم لأصحابها وتُفتَح لأهلها فإنه يُزاد في تسعيرها وإيقادها وإلهابها.

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾:

أزلفت: قُرِّبت وأُدنيت إكرامًا لأهلها

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾:

يعني أي نفس ستعلم علم يقين ماذا معها من العمل، وماذا قدمت لهذا اليوم إذا حصلت هذه الأهوال.

فإن قلت: أليس الإنسان يعلم قبل ذلك؟

قلنا: نعم، ولكن غالب الناس لا يصحوا إلا عندما تقع الواقعة.

نفس: نكرة في سياق الإثبات، الأصل أن النكرة في سياق الإثبات لا تدل على العموم ، لما تقول: "جاء رجل" هذا لا يدل على العموم، لكن سياق الآية

يدل على العموم.

➢ بعد أن انتهى من هذه المشاهد وبيَّن هول يوم القيامة، ماذا يحصل للشمس، وماذا يحصل للنجوم، ماذا يحصل للجبال، ماذا يحصل للسماء، ماذا يحصل للصحف، ماذا يحصل للموؤودة، أراد أن يبين لنا مَن الذي جاء بها، وأن هذه المعلومات الغيبية التي ستحدث في آخر العالم حق ، ولا يمكن أن يمتري فيها أحد ، قال:﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أقسم بالخنس، الجوار الكنس، والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس. ثلاثة أقسام ، على أن هذا القول من عند الله –عز وجل.

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾:

فَلا أُقْسِمُ: هذا إثبات للقسم يعني: أؤكد القسم ، وليس نفيا له ، وعلى هذا جرى عامة السلف ، لأن"لا" تأتي عند العرب ويُراد بها التأكيد.

مثال1 : قول الله –عز وجل– ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ أصل الكلام: أن تسجد إذا أمرتك.

مثال2 : قول الله –عز وجل– ﴿لِئلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ، المعنى: ليعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله، فـ "لا" تُزاد للتأكيد.

➢ من المفسرين المتأخرين مَن قال: "لا" هنا نافية.واختلفوا بعد ذلك.

❖ منهم مَن قال: نافية للقسم، لأن الأمر لا يحتاج إلى قسم.

❖ منهم مَن قال: نافية لكلام متقدم أو مقدر، ثم جاء القسم.يعني: (لا، ليس الأمر كما تزعمون، أقسم بالخنس).

الذي يظهر –والله أعلم– وعليه عامة السلف حتى لا أكاد أجد منهم مَن خالف: أن أسلوب "لا أقسم" بمعنى: أقسم.

الدليل:قوله –عز وجل: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾، فبيَّن ان هذا قسم وليس نفيًا للقسم.

﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾:

الخنَّس، والجوار، والكنَّس، هذه صفات لموصوف ، والعادة أنه إذا جاءت صفة لموصوف لم يُذكر؛ يقع الخلاف ما هو هذا الموصوف وهذا من أسباب الخلاف السائغة.

اختلف السلف في الخنَّس على قولين مشهورين:

❖ القول الأول: (الْخُنَّسِ) : هي بقر الوحش، أو الظباء والتي تتميز بأنها تختفي عن الأعين.

الخنَّس:أي مختفية، خَنَسَ الشيء أي اختفى.

الجوار: تجري للبحث عن رزقها، أو للهرب من عدوها.

الكُنَّس: التي تأوي إلى خِناسُها وهو بيتها التي تذهب إليه وتأوي إليه.

❖ القول الثاني: (الخنس، الجوار، الكنس : هي النجوم)، لأن هذا الوصف ينطبق عليها.

الخنس: النجوم مختفية لا نراها.

الجوار: هي تجري في هذا الكون.

الكنَّس: عندما يأتي النهار تأوي إلى كِنَاسها، أي إلى بيوتها، تشبيها لها بحال من يأوي إلى بيته، لأنها تغيب عن أنظارنا.

➢ هذا الخلاف من اختلاف تنوع لأنه قسم من الله –عز وجل– والقسم يصح بهذا، ويصح بهذا، ولا إشكال في ذلك، سواءً أقسم الله ببقر الوحش فهذه الصفات منطبقة عليه، أو أقسم بالنجوم فهذه الصفات منطبقة عليها، والقسم يتحقق بهذا وبهذا، فكلها من آيات الله ومخلوقاته.

نقول: هذا اختلاف تنوع، سواء حملناها على هذا، أو حملناها على هذا، لأن المعنى لا يتغيَّر، المعنى والمراد لا يتغيَّر.

الأولى فيما يظهر: أن المراد بـ "الخنس الجوار الكنس" أنها النجوم، لأسباب.

أولًا: لأنه كثُرَ في القرآن القسم بها،﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ .

ثانيا: لأنها ظاهرة بارزة للأعيان، يدركها كل من على الكرة الأرضية ، بخلاف البقر الوحشي، لا يراها على هذه الصفة إلا مَن يعيشون في أماكن فيها مثل هذا النوع من الحيوانات.

ثالثًا: لأنه ذُكر بعدها ما هو متصل بها -أي بالنجوم- وهو قوله﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، والليل والصبح هما مكان جريان وكنوس وخنوس هذه النجوم، فلا أن يُقسَم بها أولى من أن يُقسَم بغيرها، ومع ذلك نقول: الأمر فيه شيء من السعة.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾:

أقسم الله بالليل في حال العسعسة.

عسعس: فعل، وهو من الأفعال المشتركة المتضادة التي تدل على المعنى وضده.

مثل: كلمة "جليل" تأتي للشيء الكبير وللشيء الصغير

مثل: كلمة "وراء" تأتي بمعنى أمام، وتأتي بمعنى خلف.﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾

عسعس: تأتي في اللغة بمعنى أقبل، وتأتي في اللغة بمعنى أدبر.

قولان للمفسرين في تفسير كلمة (عسعس) وهذا من اختلاف التنوع:

- القول الأول: أقسم الله عزوجل بإقبال الليل.
- القول الثاني: أقسم الله عزوجل بإدبار الليل.

قاعدة: "كل كلمة مشتركة تصلح لأكثر من معنى يجوز حملها على معانيها إذا أمكن ذلك ، اما إذا لم يمكن ذلك؛ فإننا لا نحملها إلا على معنًى واحد"

مثال: ما لا يمكن حمله: القرء. قال: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ﴾ القرء: يُطلق على الحيض وعلى الطهر، هنا ما نقول: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ﴾ يعني ثلاث أحياض وأطهار، لا يمكن.

مثال: ما يمكن حمله قول الله -عز وجل: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾، (قَسْوَرَةٍ) تطلق على الصائد، وتطلق على الأسد.

نقول: فرَّت من الأسد، وفرَّت من الصائد.

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ: والليل إذا أقبل، والليل إذا أدبر، والأولى الإقسام باقبال الليل ، لأنه في النهار أقسم بإقباله وتنفسه، ولأن القسم بإقبال الليل كثير في القرآن،﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ، ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ ، فحمل الآية على ما تكرر في القرآن أولى، لأن مراعاة عادات القرآن مقدَّم على ترك ذلك.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾:

هذا جواب القسم.

إِنَّهُ: أي القرآن.

قاعدة : في التفسير: " كل ضمير لا يعود إلى مذكور قريب؛ فالغالب أنه يراد به القرآن".

مثلًا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ما هو الذي أنزلناه في ليلة القدر، لم يعدِ الضمير على مذكور ، إذن: فليكن القرآن.

رَسُولٍ: الرسول هنا هو جبريل ، أخذنا أنه جبريل من الأوصاف التي جاءت. لأنه قال بعدها ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ أما في سورة الحاقة قال: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ فإن المراد به هنا هو رسول الله ﷺ وكلاهما رسول، جبريل مرسل من عند الله إلى محمد، ومحمد ﷺ مرسل إلى البشر.

كَرِيمٍ: أي ذي منزلة عالية ومكانة رفيعة.

➢ كيف يكون القرآن قولًا لجبريل، أو قولًا لمحمد؟

نقول: القول يُنسب إلى مَن تكلم به، وينسب إلى من نقله، خصوصًا إذا وصف الذي نقله بأنه رسول، يعني يحمل رسالة.

إذن هذا القول ليس من قوله، إنما من قول مَن أرسله.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾:

ذِي قُوَّةٍ : صاحب قوة، قوة معنوية، وقوة مادية، فقد رآه النبي ﷺ على صفته التي خلقه الله عليها سادًّا الأفق، عنده ستمئة جناح.

عِندَ ذِي الْعَرْشِ: أي عند الله صاحب العرش.

مَكِينٍ : أي ذو مكانة عالية.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾:

مُطَاعٍ:أي يطيعه أهل السماء.

ثَمَّ: أي هناك، مطاع في السماء.

أَمِينٍ : لا يخون، ولا يغيِّر، ولا يبدل ما أعطي من الرسالة.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾:

هذا طرف الإسناد الثاني، طرفه الأول عند جبريل، وطرفه الثاني عند رسول الله ﷺ وكلاهما محل الأمانة والقوة والصدق والديانة.

وَمَا صَاحِبُكُم: وصفه بأنه صاحبهم ليبيِّن أنهم هم أعرف وأدرى الناس به.هذا صاحبكم الذي كنتم في الجاهلية تصفونه بأنه الصادق الأمين: يعني ليس إنسانًا أجنبيًّا عنكم لم تعرفوه من قبل إلا بعد أن ادَّعى النبوة؛ بل كنتم تعرفونه بكل خلق حسن وخصلة فاضلة.

بِمَجْنُونٍ: أي لس كما تزعمون بأنه قد أصابه شيء من الجنون، لأن مثل هذا الكلام لا يأتي به مجنون.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾:

هنا جاء إلى اتصال السند

رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ: رأى محمد جبريلا بالأفق المبين عندما نزل عليه بالوحي.

الأفق: هو نقطة التقاء السماء بالأرض.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾:

وَمَا هُوَ : أي محمد ﷺ

عَلَى الْغَيْبِ: أي على الوحي الذي أوحي إليه.

بِضَنِينٍ : هذه تقرأ بوجهين:ضنين ، وظنين ، وهاتان القراءاتان مختلفتا المعنى، لكنهما يزيدان المعنى ولا يتضادان.

بِضَنِينٍ: أي ببخيل.

بظنين: أي بمتهم.

فليس هو ببخيل عن الوحي، وليس متهمًا على الوحي ، ليس متهمًا في أن يزيد أو ينقص، وليس بخيلًا إذا جاءه هذا الوحي لا يعطيكم إياه ولا يمنحكم شيئًا منهم.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾:

وَمَا هُوَ: أي القرآن.

بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ: فإن الشياطين لا تأتي بالخير، ولا تأتي بلا رحمة، ولا تأتي بالفضل.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾:

ما الذي يمنعكم من الإيمان ما دام القرآن بهذه الصفة، وقد جاء به هذا الأمين، ونقله إلى هذا الأمين -أمين السماء إلى أمين الأرض- بهذا الاتصال التام بينهما، وبهذا الاكتمال أيضًا في موضوع القرآن وألفاظه، لا حجة لكم في تكذيبه

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾:

إن: تأتي في القرآن كثيرًا بمعنى "ما".

إِنْ هُوَ: أي القرآن

العالمين: المقصود بهم هنا: الإنس والجن.

﴿لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾:

هذا فيه إثبات المشيئة للعباد، وأنهم يختارون الإيمان والكفر، وأن الله -عز وجل- قد جعل لهم الاختيار في الطريقين، ويذهب الواحد منا فيصلي أو يؤمن وهو يشعر بأنه مختار لذلك، كما أن الكافر يكفر وهو يشعر أنه مختار لذلك ، لكن هذه المشيئة فوقها مشيئة إلهية ليس لنا بها علم ولا اطلاع، الله وحده هو المطلع عليها والعالم بها.ولذلك قال:

﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾:

أي لا مشيئة تنفذ في هذا الكون إلا بعد مشيئة الله.

الْعَالَمِينَ: هنا بمعنى: رب كل شيء.والعالم: كل من سوى الله.

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾:

العالمين: أي الثقلين الإنس والجن.

وهذا يبيِّن لنا أن الكلمة قد ترد في القرآن فتفسر بحسب السياق.